

البيت المرواني

عمر بن عبد العزيز

الفصل الثامن

٩٩-١٠١هـ / ٧١٧-٧٢٠م

obeykandi.com

هو **عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية** (٧١٧م - ٧٢٠م) ثامن الخلفاء الأمويين، ويرجع نسبه من أمه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث كانت أمه هي أم عاصم ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب وبذلك يصبح الخليفة عمر بن الخطاب جده. ولد في المدينة النبوية وقد تلقى علومه وأصول الدين فيها على يد صالح بن كيسان، واستفاد كثيراً من علمائها، ثم استدعاه عمه الخليفة عبد الملك بن مروان إلى دمشق عاصمة الدولة الأموية وزوجه ابنته فاطمة وعينه أميراً على إمارة صغيرة بالقرب من حلب تسمى دير سمعان وظل والياً عليها حتى سنة ٨٦ هـ. لقب بخامس الخلفاء الراشدين لسيره في خلافته سيرة الخلفاء الراشدين. تولى الخلافة بعد سليمان بن عبد الملك في دمشق سنة ٩٩ هجرية وقد سمي الخليفة العادل لمكانته وعدله في الحكم. في ربيع الأول من عام ٨٧ هـ ولّاه الخليفة الوليد بن عبد الملك إمارة المدينة النبوية، ثم ضم إليه ولاية الطائف سنة ٩١ هـ، وبذلك صار والياً على الحجاز كلها، واشترط عمر لتوليهِ الإمارة ثلاثة شروط للعدل فوافق الوليد عليها، وباشر عمر بن عبد العزيز عمله بالمدينة وفرح الناس به فرحاً شديداً. ومن أبرز الأعمال التي قام بها في المدينة، وهو عمل مجلس للشورى يتكون من عشر فقهاء من المدينة، ثم عينه الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك وزيراً في عهده - كما تقدم في ترجمة سليمان -، قال عنه سفيان الثوري: كخامس الخلفاء الراشدين (الخلفاء خمسة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعمر بن عبد العزيز).

لما وارى الناس جثمان سليمان، قام رجاء بن حيوة أحد علماء المسلمين، فأعلن على المنبر أن خليفة المسلمين، وأمير المؤمنين للعالم الإسلامي، عمر بن عبد العزيز. فلما تلقى عمر خبر توليته، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من بالمسجد. يقول رجاء ابن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية ونحن نبكي، هل تبكي معنا لا ثم نزل، فقربوا له المراكب والموكب كما كان يفعل بسلفه، قال: لا إنما أنا رجل من المسلمين، غير أنني أكثر المسلمين حملاً وعبثاً ومسئولية أمام الله، قربوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين. نزل عمر في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريباً من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد ﷺ - وتعلمون أن الخارطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقاً إلى الرباط غرباً، ومن تركستان شمالاً، إلى جنوب إفريقيا جنوباً - قال: فإن كنت تريد أن الله والدار الآخرة، فسلمي حُلْيَكِ وذَهَبِكِ إلى بيت المال، وإن كنت تريد الدنيا، فتعالي أمتعك متاعاً حسناً واذهبي إلى بيت أبيك، قالت: لا والله، الحياة حياتك، والموت موتك، وسلّمت متاعها وحليّتها وذهبها، فرفعه إلى ميزانية المسلمين^(١).

سياسة عمر بن عبد العزيز العامة

أولاً ، الخوارج ،

سلك عمر بن عبد العزيز مع **الخوارج** المسلك الصحيح الذي تبعه سلفنا الصالح كأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، وابن عباس رضي الله عنهما، ويبدو أن عمر قد طمع في رجوع هؤلاء الخوارج إلى جادة الطريق، ولذلك لم يترك لهم شبهة إلا كسرهما وبين زيفها وكشف عوارها، ولم يجادلهم في الحق الذي معهم ولكنه طلب مهلة إلا أنه مات قبل انتهائها، وعندما استخدم **خوارج العراق** القوة ضد واليه عبد الحميد وتمكن **الخوارج** من دحر جيش **الوالي**، أسرع عمر بن عبد العزيز فأرسل إلى **الخوارج مسلمة بن عبد الملك** على رأس جيش من أهل الشام، وكتب إلى عبد الحميد:

قد بلغني ما فعله جيشك، جيش السوء، وقد بعثت مسلمة فخل بينه وبينهم، وتقدم مسلمة على رأس قواته إلى حيث عسكر **الخوارج**، ودارت معركة بين الطرفين انتهت بانتصار جيش الخلافة. إن اضطراب عمر إلى استخدام القوة إزاء فئة من **الخوارج**، لم يدفعه أبداً إلى تطبيق أسلوب الشدة تجاه كل **الخوارج**، فما دام خصمه مستعداً للحوار، فلا داعي أبداً لإراقة الدماء.

لقد كان السبب المفضي لقتال **الخوارج**: هو أنه لم يأمر عمر بن عبد العزيز بقتالهم لما اختلفوا معه في الرأي ولا عندما عارضوه وسبوه، بل صبر عليهم لعل الله أن يهديهم إلى الصواب، ثم لما وصلوا إلى مرحلة خطيرة وهي أخذ المال وإخافة السبيل وسفك الدماء عند ذلك أمر بقتالهم.

يبد أن عمر بن عبد العزيز رد متاع **الخوارج** إلى أهلهم، فهو لم يسب نساء **الخوارج** وذرائعهم ولم يستحل أموالهم، بل أمر برد متاعهم إلى أهلهم، فقد كتب إلى عامله في **الخوارج**: فإن أظفرك الله بهم وأدالك عليهم فرد ما أصبت من متاعهم إلى أهلهم، وهذا رأي علي بن أبي طالب رضي الله عنه فيهم في عدم سبي ذرية ونساء **الخوارج**، وعدم استحلال أموالهم .

وكان موقف الخليفة هو أن يحبس أسرى **الخوارج** حتى يحدثوا خيراً؛ فلما قاتلهم، وقتل منهم من قتل، وأسر منهم من أسر، أمر عمر بن عبد العزيز بسجنهم حتى يحدثوا خيراً، من الرجوع إلى الحق والتخلي عن أفكارهم الضالة، فلقد مات عمر بن عبد العزيز وفي حبسه منهم عدة . فهذا منهج وفقه عمر بن عبد العزيز في التعامل مع المعارضين من **الخوارج** في عهده ^(١).

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز) ، النسخة الرقمية .

خروج شوذب الخارجي سنة ١٠٠ هـ

جرجاريا: يفتح الجهم، وسكون الرء الأولى: بلد من أعمال التهروان الأسفل بين وسط وبغداد من الجانب الشرقي، كانت مدينة وخربت مع ما خرب من التهروانات؛ وقد خرج منها جماعة من العلماء والشعراء والكُتّاب والوزراء، ولها ذكر في الشعر كثير؛ قال أبو ذؤيب اللؤلؤي:

ألا يا حيداً يوماً جرجارياً ذُيول اللؤلؤ فيه بجرجاريا

وممن ينسب إليها محمد بن الفضل الجرجاري وزير المتوكل على الله بعد ابن الزيات، ثم وزير للمُستعين بالله، ثم مات سنة ٢٥١، وكان من أهل الفضل والأدب والشعر؛ ومنها أيضاً جعفر ابن محمد بن الصباح بن سفيان الجرجاري مولى عمر بن عبد العزيز، نزل بغداد وروى عن الثوري ومهشيم، روى عنه هيد الله بن قعطبة الصلعي وشهره؛ وعصامية الجرجاري واسمه إبراهيم بن إياهم، له حكايات وأخبار وديوان شعر، روى عنه عون بن محمد الكندي الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٣. قُلت: وعرفت جرجاريا في الأثر أنها من أرض جوشي.



استمر **الخوارج** في حربهم **للدولة الأموية** أحياناً ينشطون، وفي الغالب تنقلب عليهم الدولة بالقوة وتكسر شوكتهم إلى أن جاء عمر بن عبد العزيز فدخل معهم في محاورات ونقاشات واستخدم معهم القوة عند اللزوم مثل ما فعله مع **شوذب الخارجي**. وكان عمر بن عبد العزيز يذم الجندال المذموم وينظر ويجادل يأتي هي أحسن.

الخارجي شوذب واسمه بسطام من بني يشكر، يخرج **بجوشي** في ثمانين فارساً أكثرهم من ربيعة،

كتب **عمر بن عبد العزيز** إلى عبد الحميد والي المراق، ألا تحركهم إلا أن يسفكوا دماً أو يفسدوا في الأرض فإن فعلوا فعل بينهم وبين ذلك وانظر رجلاً صلياً حازماً فوجهه إليهم، ووجه معه جنداً وأوصه بما أمرتك به، فمقد عبد الحميد **محمد بن جرير بن عبد الله البجلي** في ألفين من أهل الكوفة وأمره بما أمره به عمر بن عبد العزيز.

تمكن **الخوارج** من دحر جيش الوالي عبد الرحمن، لذا أسرع **عمر بن عبد العزيز** فأرسل إلى **الخوارج** مسلمة بن عبد الملك على رأس جيش من أهل الشام، الذي استطاع أن يدحر قوات الخوارج.

خاتماً ، الشيعة

تذكر في الإصلاح كاسم لكل من فضل علياً رضي الله عنه، على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم جميعاً وأن أهل بيته أحق بالخلافة، وهو ما لم تأت بها النصوص الصريحة من القرآن والسنة، وقد تحدثت عن الشيعة بالإيجاز في كتابي أطلس الأديان « تاريخ ، عقائد ، انتشار » .

قال د. الصلابي: **والشيعة فرق عديدة** منهم الغلاة الذين خرجوا عن الإسلام وهم يدعونه ويدعون التشيع، ومنهم دون ذلك ومن أهم فرقهم: الكيسانية، والسبئية، والإمامية وغيرها. وكان لعمر بن عبد العزيز أقوال في الشيعة الغلاة، فقد قال عمر بن عبد العزيز: إني لا أعرف صلاح بني هاشم وفسادهم بحب كثير عزة (الشاعر)، فمن أحبه منهم فهو فاسد، ومن أبغضه فهو صالح لأنه كان خشبياً يؤمن بالرجعة، وجاء عمر بن عبد العزيز كتاب من عامله على الكوفة يخبره بسوء طاعة أهلها، فرد عمر: لا تطلب طاعة من خذل علياً رضي الله عنه وكان إماماً مرضياً، وعن إسحاق بن طلحة بن أشعث قال: بعثني عمر بن عبد العزيز إلى العراق فقال: أقرئهم ولا تستقرئهم وحدثهم ولا تسمع منهم، وعلمهم ولا تتعلم منهم. فقد كان عمر بن عبد العزيز على معرفة بعقيدة كثير الشاعر ويؤيدها ما يروى أن كثير عزة له أبيات يثبت فيها عقيدته الفاسدة **في الغلو** في أهل البيت مثل قوله:

ألا إن الأئمة من قريش

علي والثلاثة من بني

هم الأسباب ليس بهم خفاء

وسبب غيبتهم كربلاء

يقود الخيل يقدمها اللواء

ألا إن الأئمة من قريش

علي والثلاثة من بني

هم الأسباب ليس بهم خفاء

وسبب غيبتهم كربلاء

يقود الخيل يقدمها اللواء

قال الذهبي قال الزبير بن بكار عن كثير: كان شيعياً يقول بتناسخ الأرواح ويقرأ: ﴿ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴾ (الانقطار، الآية: ٨) قال: وكان خشبياً يؤمن بالرجعة يعني رجعة علي رضي الله عنه إلى الدنيا. ولم يهتم **عمر** بالرد على ما كان يراه كثير وغيره من الشيعة الغلاة كما اهتم بالرد على **القدرية والخوارج**، وحذر عمر بن عبد العزيز من مخالطة ومجالسة أصحاب البدع والأهواء^(١).

ثالثاً ، التسامح الديني مع غير المسلمين، ودعوتهم إلى الإسلام.

حيث أمر عمال الولايات بدعوة الذميين إلى الإسلام، مثل ما فعل مع الإمبراطور البيزنطي ليو الثالث يدعوه للإسلام، وأنه أعطى بطريقاً ألف دينار يتألفه بها على الإسلام، ودخلت أفواج من سكان بلاد ما وراء النهر في الإسلام .

١ - د. علي الصلابي، الدولة الأموية (عمر بن عبد العزيز)، النسخة الرقمية.

